خطبة صلاة الجمعة 2/ 2/ 2019 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(كيف أعتصم من الشيطان وحيله؟)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13].

وقال سبحانه: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس:٨٣].

قال ابن كثير: هم الشباب.

أخرج الحاكم والبيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**».

أيها الإخوة:

نحن في الخطبة الخامسة والعشرين من سلسلة (هموم الشباب)، عنوان خطبة اليوم:

كيف أعتصم من الشيطان وحيله؟

أيها الإخوة:

قرأ شبابنا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيطان لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:6]. ورأوا من حولهم أُناساً استدرجهم الشيطان لمعصيةٍ؛ فأوقعهم في شرورها أو شغلهم عن طاعةٍ بعد أن كانوا من أهلها، ويوسوس لأحدهم الشيطان فيجدُ في نفسه حديثاً؛ لأنْ

يَخْتَرِقَ حتى يَصيرَ حَمَمَةً، أو يَخِرَّ من السماء إلى الأرض، أحبُّ إليه من أن يتكلَّم به! فيسأل كيف أعتصم من الشيطان وحيله؟!.

وللإجابة على هذا السؤال جاءت هذه الخطبة، فأقول مستعيذاً بالله من الشيطان الرجيم مستعيناً باسم الله الرحمن الرحيم:

من المهم جداً أن تعرف كيف يوسوس الشَّيطان؛ لأنَّك إذا عرفتَ حيلَ عدوِّك وخُطَطَهُ فوَّتَّ عليه فُرَصَ الإيقاع بك.

إن للشَّيطان طريقين في إغواء الإنسان: فهو إما أن يوقعه في معصيةٍ، وله في هذا عشرُ حيلٍ، وإمَّا أن يبعدَهُ عن الطَّاعة، وله في هذا ستُّ حيلٍ، يتدرج في كل منها تدرجاً.

أما حيله في الإيقاع بالمعصية؛ فإنه يأمر المرءَ باستماع حديثِ المعصية، فإنْ هو أطاعه أمره بالنظر إليها، فإن هو أطاعه أمره بمجالسة أهلها، فإن أطاعه أمره بتمنيها، ثم أمره بفعلها، ثم بالمجاهرة فيها، فإن هو أطاعه أمره باستصغارها والاستخفاف بها، فإن هو أطاعه أمره بالإصرار عليها، ثم أمره بالدعوة إليها، فإن هو أطاعه في كل ذلك أمره بتحدي الله تعالى بها – والعياذ بالله- ﴿كَمَثَلِ الشَّيطانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر:16-17].

وأما حيله في الإبعاد عن الطاعة؛ فإنه يأمر المرء بترك الطاعة، فإن لم يأتمر أمره بتسويفها، فإن لم يأتمر أمره بالعجلة فيها والإسراع في الخروج منها، فإن لم يأتمر أمره بالمراءاة فيها، فإن لم يفعل أمره بالعُجب بها، فإن لم يفعل قال له ما حاجة ربك لطاعتك وقد كُتبتَ شقياً أو سعيداً من قبل ولادتك؟! قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:97-98].

والاعتصام من الشَّيطان وحيله بأمورٍ خمسةٍ:

أوَّلاً: ذِكْرُ الله تعالى والإكثارُ من الطَّاعات.

ذِكْرُ الله تعالى حِصنٌ من الشَّيطان، والطَّاعاتُ تقوِّي الإيمان، أخرج الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِيْ أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِيْنٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُم، كَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ».

وأخرج البيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ خَنَسَ، وَإِذَا نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ».

قال ابن قيّم الجوزية: أوّل فائدةٍ لذكر الله تعالى أنَّه يطردُ الشَّيطان ويقمعُهُ ويكسرُهُ. ولو لم يكن في الذِّكْرِ إلا هذه الخصلةُ الواحدة؛ لكان حقيقاً بالعبد ألا يفترَ لسانُهُ عن ذِكْرِ الله تعالى، وأن لا يزال لَهِجاً بذِكْرِهِ، فإنَّه لا يحرزُ نفسَهُ من عدوّه إلا بالذِّكْرِ، ولا يدخل عليه العدوُّ إلا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذَكَرَ الله تعالى انخنس عدوُّ اللهِ تعالى وتصاغر، حتَّى يكون كالذُّباب، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزُّخرف:36].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِيْن، فَجَاءَهُ ذِكْرُ الله فَخَلَّصَهُ مِنْ بَيْنِهِم» [الحكيم الترمذي في النوادر].

وأخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ: -يعني إذا خرج من بينه- بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَهُدِيتَ وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَان».

وأخرج البخاري الحديث: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فَلَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ».

فمهما أراد شابٌ من شبابنا أن يعتصم من الشيطان وحيله؛ فليجعل الاستغفار رفيقه، والتهليل صديقه، والتسبيح نشيده، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ديدنه، وذكر اسم الله المفرد أنيسه.

ثانياً- التَّضرُّعُ إلى الله تعالى بصرفِ كيد الشَّيطان:

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:97-98]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطان نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِالله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت:36].

سأل رجلٌ الإمامَ الغزاليَّ: كيف أدفعُ عنّي الشَّيطان ووسوستَهُ؟ فقال الإمامُ الغزاليُّ: أرأيتَ إذا مررتَ براعٍ معه كلبُهُ، فعمدَ الكلبُ إليك ليؤذيَكَ، ماذا تفعلُ؟ قال: أرميه بالحجارة، قال: فإنَّ عاد، قال: أرميه ثانيةً، فقال: يعود ثالثةً، قال: أرميه ثالثةً، قال: يا ولدي، إذاً يطولُ عليك الأمرُ، فقال الرَّجل: فما أفعل؟ قال: لو الْتجأتَ إلى سيّدِهِ، وقلتَ له: كُفَّ عنا الكلب، لأراحك منه، ثمَّ قال: وكذلك الشَّيطان ذئبُ الإنسان، التجيء إلى خالقِهِ، وقل: يا ربِّ، اصرفْ عنّي كيدَهُ ووسوستَهُ.

كان من دعاء سيّدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ» [أبو داود].

أخرج الترمذي وأبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ. قَالَ: «قُلِ: اللهمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ»، ومعنى شِرْكه (بالكسر): الشِّرك بالله. ومعنى شَرَكه (بالفتح): حبائله ومصائده. وقد رُوِيَ الحديثُ بالوجهين.

ثالثاً: صحبةُ الصَّالحين:

لأنَّ الشَّيطان بعيدٌ عن الجماعة، وهو إلى الواحد أقربُ، ولهذا كانت صلاةُ الجماعة أفضلَ من صلاة الفرد، ولهذا كانت مجالسُ العبادةِ والعلم الجماعيةِ أنفعَ من المجالس الفردية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ» [أبو داود].

وإنَّ ذئبَ الإنسانِ الشَّيطانُ، إذا خلا به أكله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التَّوبة:119] يعني التزموهم وصاحبوهم.

قال كعب الأحبار: (الحصون للمؤمن من الشَّيطان ثلاثة: المسجدُ حِصْنٌ، وذِكْرُ الله تعالى حِصْنٌ، وقراءةُ القرآن حِصْنٌ)، وفي المسجد جماعة الصَّالحين.

رابعاً: تقليل الشَّهوات المباحات:

«إن الشَّيطان يجري من ابن آدم مجرى الدَّم» [متفق عليه]، فضيِّقُوا مجاريَه بالجوع -أي بالصِّيام-، فالتَّخفيف من الطَّعام والكلام، ومن المنام والضَّحك، ومن سائر المباحات، يجعلك أبعدَ عن الشَّيطان.

أمَّا الإكثار من المباحات؛ فيدعوك للذَّهاب نحو المكروهات، فإذا نِلْتَ المكروهات، دعاك الشَّيطان إلى المحرَّمات، فنالَ منكَ ما يرجو؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:31]، ولذلك وصف الله تعالى المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:3]، واللَّغو كثرة الكلام الذي لا ينفع ولا يضر.

قال أهل التَّربية الرُّوحية: أصول طريقتنا قلَّةُ الطعام، وقلَّةُ الكلام، وقلَّةُ المنام.

وقالوا: مَن كثُر كلامُه كثُر سقطُه، ومَن كثُر ضحكُهُ استُخِفَّ به، ومَن كثُر طعامُه قلَّتْ فطنتُهُ، ومَن كثُر منامُهُ افتقر يوم القيامة.

خامساً: إذا كان الشَّيطان من الإنس فاتركْهُ:

قال الله تعالى في سورة النَّاس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: 1 - 6]، أي أعوذ بربِّ النَّاس من شياطين الإنس، ومن شياطين الجنِّ.

قال أبو ذرٍ رضي الله عنه لرجل: هل تعوذتَ بالله من شياطين الإنس؟ فقال: أَوَمِنَ الإنس شياطينٌ؟ قال: نعم، لقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:112].

وشياطين الإنس أشدُّ خطراً من شياطين الجنِّ؛ لأنَّ شياطين الجنِّ يكرههم النَّاس كلهم، أمَّا شياطينُ الإنس، فربَّما جاءَكَ بصورة صديقٍ حبيبٍ، أو قريبٍ شفيقٍ، أو جار ملاصقٍ؛ ثمَّ إنَّ شيطان الجنِّ يَفِرُّ بالاستعاذة والبسملة، أمَّا شيطان الإنس فلا تتخلَّصُ منه بذلك، فإذا رأيتَ شيطاناً للإنس يأمرُك بالمنكر وينهاك عن المعروف، يدعوك للعقوق ويصدّك عن البرِّ، يدلُّك على الشَّرِّ ويمنعك من الخير، فاهجرْهُ لتسلمَ منه.

وبعد أيها الشباب:

هذه جوابي لكم عن سؤال: كيف أعتصم من الشيطان وحيله؟ تعتصم من الشيطان وحيله بخمسة:

1) ذِكْرُ الله تعالى والإكثارُ من الطَّاعات.
2) التَّضرُّعُ إلى الله تعالى بصرفِ كيد الشَّيطان.
3) صحبةُ الصَّالحين.
4) تقليل الشَّهوات المباحات.
5) إذا كان الشَّيطان من الإنس فاتركْهُ.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:101].

اللهم إنا نعوذُ بك من شَّيْاطين الإنس والجن، نعوذ بك مِنْ نَفْخِهِم، وَنَفْثِهِم، وَهَمْزِهِم، ونعوذ بك أَن يتخبَّطنا الشيطان عند الموت، اللهم إنا نعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنفُسِنا، وَشَرِّ الشيطانِ وشِرْكِهِ، ونسألُكَ العَافِيَةَ في الدنيا والآخِرةِ.

والحمد لله رب العالمين